**الأسلوبية**

**تمهيد:**

الأسلوبية من التّيارات النقدية الوافدة إلى السّاحة الثقافية والأدبية العربية، حيث شقّت طريقها إلى النقد العربي المعاصر الطّموح إلى تحديث مقولاته تماشيا مع عملية التجديد الإبداعي الأدبي، وقد كان عصر تجديد الفكر النقدي شاهدا على تدفّق هذا الاتجاه الذي سار بخطى ثابتة مطمئِنّة إلى أن أصبح غزيرا متنوّعا، وتزامنت نشأة الأسلوبية؛ فضل عن كونها وليدة البلاغة وبديلا لها، مع تجديد الدّرس اللّغوي، حيث كانت ثمرة للدّراسات اللسانية وفرعا من فروع تطوّر الدّرس اللغوي، ومن ثم حاولت أن تكون منهجا نقديا يهدف إلى دراسة النّصوص الأدبية بالاعتماد على النّسيج اللغوي الذي يتشكّل منه النص الأدبي بل إنها استقرّت نظريّة للأسلوب كمعطى جديد للدّراسة النقدية مفيدة في مفاهيم اللسانيات.

بالرّغم من أنّ النّقد الأدبي –كما يرى صلاح فضل- يمثّل الدّائرة الثانية التي تتداخل فيها الأسلوبية وتشتبك معها[[1]](#footnote-2)، إلا أنّ العلاقة بينهما بقيت فترة طويلة ومبهمة.[[2]](#footnote-3)

شقّ التّيّار الأسلوبي طريقه في النّقد الأدبي منذ فجر القرن العشرين بين شكوك متكاتفة خيّمت على شرعية وجوده، وكان من نتائج ذلك أن اختلف الباحثون حول نجاعة علم الأسلوب في مجال الدّراسات الأدبية، وفي انتمائه إلى اللسانيات أم إلى النّقد الأدبي، إلى أن جاءت ستّينات القرن العشرين ليطمئنّ الباحثون إلى شرعية علم الأسلوب، ففي سنة 1960م انعقدت ندوة بجامعة "إنديانا" الأمريكية حضرها أبرز الألسنيين ونقّاد الأدب وغيرهم، وكان محورها (الأسلوب)، وخلالها ألقى "جاكبسون"محاضرة عن الألسنية والشعرية أكّد فيها والشّعرية أكّد فيها الصلة الحميمة بين اللسانيات والأدب، وفي عام 1965م ازداد الألسنيون والنّقاد اطمئنانا إلى ثراء البحوث الأسلوبية، وذلك حين ترجم "تودوروف" أعمال الشّكلانيين الرّوس، وفي سنة 1969م بارك الألماني "ستيفن أولمان" استقرار الأسلوبية علما ألسنيا نقديا قائلا: "إنّ الأسلوبية اليوم هي من أكثر أفنان الألسنية صرامة، على ما يعتري غائيات هذا العلم الوليد ومنهاجه ومصطلحاته من تردّد، ولنا أن نتنبّأ بما سيكون للبحوث الأسلوبية من فضل على النقد الأدبي واللسانيات معا".[[3]](#footnote-4)

**في مفهوم "الأسلوب" و"الأسلوبية":**

قبل تحديد علاقة الأسلوبية بالنّقد الأدبي والإشارة إلى كيفية تناولها للنّص الإبداعي وتحليلها له، لا بأس من الوقوف عند مصطلحي "الأسلوب" و"الأسلوبية" مع الإقرار بتنوّع المفاهيم والتعريفات التي قدّمها الباحثون والدّارسون لهما.

إنّ لكلمة "أسلوب" في العربية استعمالات شتى، فهي مجاز مأخوذ من معنى الطّريق الممتدّ، أو السّطر من النّخيل[[4]](#footnote-5)، ومن هنا يمكن أن نتبيّن أمرين من خلال التّجديد اللغوي لكلمة "أسلوب":

- البعد المادي في تحديد مفهوم الكلمة من حيث ارتبطت في مدلولها بمعنى الطّريق الممتدّ.

- البعد الفنّي الذي يتمثّل في ربطها بأساليب القول وأفانينه، ذلك أنّ الأسلوب في القول هو طريقة الأداء أو الطريقة التي تعتمدها الأديب لنقل ما في نفسه من معانٍ في عبارات لغوية، أي أنّ الأسلوب هو المعنى المصوغ في ألفاظ مؤلّفة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام وأفعلَ في نفس سامعيه، أو كما يقول "أحمد الشّايب": "الأسلوب طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتّأثير"[[5]](#footnote-6).

والأسلوب الأدبي –عموما- هو انحراف عن النّمط أو المعيار، ومخالفة وانتهاك له، أي الخروج عمّا هو مألوف في الاستعمال اللّغوي.

أما "الأسلوبيّة" فهي مصطلح أطلق منذ الخمسينات من القرن العشرين على منهج تحليلي للأعمال الأدبية، يقترح استبدال "الذّاتية" و"الانطباعيّة" في النّقد التقليدي بتحليل "موضوعي" أو "علمي" للأسلوب في النصوص الأدبية.

فالأسلوبية تُعنَى بدراسة النصوص عن طريق تحليلها لغويا بهدف الكشف عن الأبعاد النفسية والقيم الجمالية والوصول إلى أعماق فكر الكاتب من خلال تحليل نصّه، ولذلك؛ فهي علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللّغوية التي تُكسِب الخطاب العاديّ، أو الأدبي خصائصه التّعبيرية والشّعرية، فتميّزه عن غيره، إنها تتقرّى (الظاهرة الأسلوبية) بالمنهجية العلمية واللغوية، وتعتبر (الأسلوب) ظاهرة، هي في الأساس لغويّة، تدرسها في نصوصها وسياقاتها.

تعرف الأسلوبية –على الصّعيد النّقدي- أنها مجرّد وسيلة في تحليل النصوص الأدبية، أو هي طريقة حديثة لتقويم جمالية النص، وتقديم ملامحه الوظيفية[[6]](#footnote-7)، وهي مفيدة في مجال الدّرس الأدبي من حيث انفتاحها على النّص الأدبي من جوانبه المتباينة، بفضل موضوعيتها الخالصة وتقنينها العلمي الهادف، ولذلك فإنّ الأسلوبية من أكثر الممارسات النقدية المعاصرة قدرة على تحليل النّصوص الشّعرية والأعمال الأدبية بطريقة أدنى إلى العلمية والموضوعية.

في ضوء ذلك يتحدّد موضوع الأسلوبيّة في الأسلوب الذي "يرتبط بالعبارة وصياغة القول، وهو ناشئ من اختيار الكلمات ومن ترتيبها والملاءمة بينهما بحسن التّأليف، ومن إيجاد التّناسب بين غرض القول وكيفيّته"[[7]](#footnote-8)، ولأن التعبير الفني هو الجدير بأن يكون محور الدّراسات الأسلوبية، فإنّ ما يهمّ النّاقد الأسلوبي إنما سياق النص الذي هو سياق لغوي من أهم ما تسمه ظواهر الانحراف التي ترد فيه على صورة لم تعتدها اللغة، في صورتها المفترضة سواء من حيث دلالة الألفاظ، أو شكل التركيب أو دور المجاز في تشكيل التّجربة تشكيلا جماليا.

**أهميّة التّحليل الأسلوبي:**

إذا، بدأت الأسلوبية نظرية أدبية مستفيدة من علم اللغة، وحاولت -في تاريخها الطّويل– أن تكون منهجا نقديا يسعى إلى معاينة النّصوص الأدبية بالاعتماد على النّسيج اللّغوي الذي يتشكّل منه النّص، فكانت بذلك علما وصفيا يبحث الخصائص والسّمات التي تميّز النص الأدبي بطريق التّحليل الموضوعي للأثر الأدبي، أو منهجا نقديا يقرأ النّصوص الشّعرية بالتّركيز على الظّاهرة اللغوية لمحاولة فهم كيفية تقديم النّص الشّعري لها من خلال الإمكانات الأسلوبية المتاحة للشّاعر.

من هنا يضع التّحليل الأسلوبي علم الأسلوب بين يدي النّاقد ليساعده على فهم العمل الأدبي فهما موضوعيا، على أنّ من أهم ما يؤكّد أهمية التحليل الأسلوبي بالنسبة للنقد الأدبي ويبرّره –بالتالي- حاجة الأخير للأسلوبية ما يأتي:

- إنّ التحليل الأسلوبي- في إقباله على النصوص الأدبية بحثا عن كيفية مباشرة النّص للوقوف على العناصر المكوّنة للأسلوب- يحاول مزج المقاييس اللغوية بالمقاييس النقدية[[8]](#footnote-9) وذلك لكونه محكوما بالتّصوّر الألسني حول الظاهرة اللغوية.

- الأسلوبية إحدى الأدوات التي يمكن أن يستخدمها النّاقد في تناول النّصوص الأدبية، أي أنها وسيلة في تحليل النصوص الأدبية، أو منهج للتّعامل مع النصوص الأدبية، بل إنها طريقة حديثة لتقويم جمالية النص، وقيمته الجمالية وتقدير ملامحه الوظيفية.

في ضوء هذا يقول "عبد العزيز جسّوس"[[9]](#footnote-10):

1/ حدّد علم الأسلوب موضوعه الأساسي في (النّص الأبي)، وفي مستواه اللغوي –الفني خاصة.

2/ استعاد منهجه من علم اللغة الحديث، مع تدقيقه ليتلاءم مع خصوصيّة اللغة الأدبية.

3/ اختصاصه باللغة الأدبية جعل منه جسرا بين علم اللغة والنّقد الأدبي، أو (علما ألسنيا نقديا) كما ذهب إلى ذلك (أولمان).

4/ بإمكانه اكتشاف خصائص النص الأدبي بموضوعية تامة.

- إنّ التعاون بين نظامي الأسلوبية والنقد الأدبي يتيح للباحث الأسلوبي الحصول على نتائج خصبة، ويساعده على إدراك مدى ارتباط الأدب باللغة التي هي مادّته الأساس في الإبداع الفني.

- أتاحت الأسلوبية لمتعاطي النص الأدبي معالجة النص معالجة أسلوبية نقدية، إلى جانب قدرتها على استيعاب جانب كبير من الظواهر النصية، وتطويعها لمنهجها الموضوعي، دون إغراق في الذّاتية، وتفادي التطبيقات الآلية لوانين سابقة على النص.

- قدّمت الأسلوبية جهدا وفيرا في مجال التّوصيف اللغوي للنص الأدبي محاولة بذلك ترشيد النّقد الأدبي بضرورة استعانته بلون من المعرفة اللغوية التي ترتكز على منطلقات من علم اللغة، باعتبار أنّ الأدب "أثر فني ينتمي إلى عالم الفن من جانب، وإلى عالم اللغة من جانب آخر، والنّقد أثر لغوي يستمد وجوده من المجال الأول، وعليه أن يكون في حالة تنبّه وحذر خوفا من الوقوع في الذّاتية والرؤية الشخصية"[[10]](#footnote-11)، وبذلك يتلخّص النّقد من جوانبه التقييمية فيتحوّل إلى عملية تعرّف على النّص، وبالتالي تصبح القراءة الأسلوبية قراءة ناقدة تتتبّع كيفية بروز الدّلالة بالتّعرف على التّراكيب ومكوّناتها وكيفية قيامها بوظائفها الدّلالية في نسق متآلف.

- خلافا لنقد التّقليدي، أخذت الأسلوبية على عاتقها مهمّة البحث عن اللّذة الجمالية باعتبارها المحرّك الرّئيس للإبداع الأدبي، بل إنّ أهميّة الدّرس الأسلوبي ازدادت بعد أن تعدّدت مداخله، ويحاول بهذا التّعدد أن يتخلّص من سيطرة علم اللغة عليه، وهذا التّعدد هو الذي جعله يتميّز بالمرونة التي تمكّنه من تحليل النص وفقا لتعدّد الرؤى ومنطلقات الدّرس[[11]](#footnote-12) وهذا ما يسمح بتعدّد مفهوم الظاهرة الأسلوبية لدى الباحثين والنّقاد، فتحديد الأسلوب يتم بناءً على عناصر التواصل الأدبي: المؤلف- النص- القارئ.

1. - ينظر: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، القاهرة، ط 4، 2005، ص 79. [↑](#footnote-ref-2)
2. - الهادي الجطلاوي، مدخل إلى الأسلوبية تنظيرا وتطبيقا. عيون- الدار البيضاء، ط 1، 1992، ص: 22. [↑](#footnote-ref-3)
3. - عبد السلام المسدّي، الأسلوبية والأسلوب. الدار العربية للكتاب- ليبيا/ تونس، ط 2، 1982، ص: 24. [↑](#footnote-ref-4)
4. - ابن منظور، لسان العرب [↑](#footnote-ref-5)
5. - أحمد الشايب، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية. مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ط 13، 1999، ص: 44. [↑](#footnote-ref-6)
6. - ينظر: يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث. دار الأمين للنشر والتوزيع- دمشق، ط 1، 1994، ص 21. [↑](#footnote-ref-7)
7. - أحمد الجوّة، من الدراسة الإنشائية إلى الدّراسة الأجناسية.قرطاج للنشر والتوزيع- صفاقس، ط 1، أفريل 2007، ص: 80. [↑](#footnote-ref-8)
8. - ينظر: محمد عبد المطّلب، البلاغة الأسلوبية. الدار المصرية العالمية للنشر- القاهرة، ط 2، 2008، ص: 195. [↑](#footnote-ref-9)
9. - ينظر: عبد العزيز جسّوس، إشكالية الخطاب العلمي في النقد الأدبي العربي المعاصر. المطبعة والوراقة الوطنية الدّاوُديات- مراكش، ط 1، 2007، ص: 78- 79. [↑](#footnote-ref-10)
10. - ينظر: محمد عبد المطّلب، البلاغة الأسلوبية، ص 367. [↑](#footnote-ref-11)
11. - طارق سعد شلبي، الدرس التطبيقي في النقد العربي. زهرة المدائن للنشر والتوزيع–القاهرة، د. ط، 2001، ص: 35. [↑](#footnote-ref-12)